٢٦

دلالة الاحتمال الصرفي عند السيد الشهيد محمد الصدر في كتابه (منّة المنان في الدفاع عن القرآن) الجزء الأول أنموذجًا.

The significance of morphological probability At the martyred Sayyid Muhammad al-Sadr in the book (Mannat Al-Mannan in Defense of the Qur'an) Part One as a model

كلمات مفاتيح: الدلالة، الاحتمال، الصرف

Keywords: significance, possibility, separation

م . حسن جاسب فاتح

M. Hassan Jasib Fateh

وزارة التربية – المديرية العامة لتربية بغداد – الرصافة/٣

Ministry of Education - General Directorate of Education, Baghdad - Al-Rusafa/3

hfatih475@gmail.com

الملخص

تناول البحثُ ظاهرةً مهمةً من الظواهر الصرفية, التي وقف عليها علماء اللغة والتفسير, وهي ظاهرة (الاحتمال الصرفي) للمفردة القرآنية, , وبيان ما يؤديه ذلك الاحتمال من دلالات ومعانٍ مختلفةٍ. وكانت دراستنا التطبيقية لهذه الظاهرة في كتاب (منّة المنان في الدفاع عن القرآن – الجزء الأول–) للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر, الذي تعرض فيه للكثير من الاحتمالات الصرفية الجديدة للمفردة القرآنية أثار بها دهشة القارئ اللبيب.

Abstract

The research dealt with an important phenomenon of morphological phenomena, which linguists and interpreters have come across, which is the phenomenon of (morphological possibility) of the Qur'anic word, and explaining what this possibility leads to in terms of different connotations and meanings. Our applied study of this phenomenon was in the book (Mannat Al-Mannan in Defense of the Qur'an – Part One) by the martyred Sayyid Muhammad Muhammad Sadiq Al-Sadr, in which he discussed many new morphological possibilities of the Qur'anic word, which astonished the intelligent reader..

المقدمة

البحثُ في الاحتمال الصرفي ليست فكرة حديثة عهدٍ أو وليدت الحاضر, بل هي قديمة متأصلة نمت وترعرعت لأسباب سنذكرها لا حقًا. نعم قد لا يكون مُسمى مصطلح الاحتمال الصرفي هو نفسه الذي ورد في الكتب والمؤلفات والمعجمات القديمة, إلّا إنَّ فكرة الاحتمال واحدة وهي نفسها , ولكن بمسميّات مختلفة.

وحقيقة الأمر أنَّ الباحثين وعلماء اللغة والتفسير على الرغم من تطرقهم إلى الكثير من موضوعات الاحتمال الصرفي مؤلفاتهم وكتبهم – جزاهم الله خيرًا – إلّا إنّ موضوع الاحتمال الصرفي لم يُشبع تماماً لديهم, أو إنَّ أغلب الموضوعات التي تطرق إليها هؤلاء العلماء كانت متشابهة و متفق

عليها إلى حدٍ كبيرٍ, وقد تكون من الثوابت عندهم ,حتى إنّنا نادرًا ما نجد ما هو جديدًا فيها, أو من يخرج عنها.

أمّا السيد الشهيد الصدر فقد تناول تلك الظاهرة بدقة, وعناية فائقة, فشغلت حيّزا كبيرًا في كتابه منّة المنان, حتى نرى بعض الأراء والأطروحات الجديدة التي لم نسمع بها من قبل.

والمطلع على الكتاب يجد فيه الكثير من الخفايا والأسرار, والنكت البلاغية واللغوية. مما جعله بابًا للدارسين والباحثين , وفتح أفاقًا كثيرة في الفكر اللغوي والقرآني.

فالسيد الشهيد الصدر يمتلك قدرة هائلة في تحليله للمفردات وتعليلها, فضلًا مخيلته الواسعة في التفكير والتنظير, واطلاعه الواسع على كتب اللغة والتفسير, والقراءات القرآنية.

تعريف مؤجز بالمؤلف والكتاب:

الحديث عن آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر طويلٌ وذو شجون , ولايمكن الإلمام بشخيصته في هذه السطور القليلة, كيف وهو سليل العترة الطاهرة, وفخرٌ من مفاخر الأمة الإسلامية , وعالم فذٌ من علماء المسلمين, ومن أكابر مراجع الشيعة وعظمائهم, نقي الحسب والنسب, فهو محمد بن محمد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل بن صدر الدين, يرجع نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام). ولدَ في السابع عشر من شهر ربيع الأول عام (١٣٦٢هـ). وقد نشأ سماحته في بيت علمٍ وفضلٍ.

امتاز بغزارة علمه , وسرعة بديهته , وعُرف بحلمه وزهده وتواضعه , ودماثة أخلاقه . درس مختلف العلوم من فقه ونحو وأخلاق, ومنطق وأصول, وغيرها حتى إنّه نال الاجتهاد في سنٍ مبكرة.

ترك إرثًا كبيرًا عظيمًا من المؤلفات في مختلف العلوم والمجالات أغنى به المكتبة العراقية والعربية والعالمية. استشهد سماحته في الرابع من ذي القعدة سنة (١٤١٩هـ).

أمّا كتابه (منّة المنان في الدفاع عن القرآن) فيقع بخمسة أجزاء طُبِعَ الجزء الأول منها في حياته, والأجزاء الأربعة الأخرى فطُبعت بعد استشهاده.

والشيء الذي نريد التنويه إليهِ إنَّ كتاب منّة المنان ليس من كتب التفسير, ولا ينبغي أن يلحق بكتب التفسير العامة فإنه ليس كذلك إطلاقًا, كما أشار إلى ذلك السيد الشهيد بنفسه. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص١٧).

هذا وقد بدأ السيد الشهيد الصدر كتابه هذا بأسلوب عكسي في شرح السور القرآنية, أي بنهاية المصحف, مُبتدِئاً بسورة الناس وما تقدم عليها, لأسباب كثيرة يذكرها هو في مقدمة كتابه, فالمجال لا يتسع لذكرها في هذا البحث .

أمّا من حيث طرحه لموضوعات الكتاب فقد ابتعد السيد الشهيد الصدر عن موارد النزول وأسبابه, واستخدم في عرضه للموضوعات طريقة السؤال والجواب , مُعتمدًا في ذلك على أسلوب الأطروحات التي تصح أن تكون جوابًا, ولم يتبنَ رأيًا قطعيًا فيها, نعم قد يؤيد بعضها بالأدلة والبراهين. ويبقى الرأي الآخر موكلًا لفهم القارئ واستيعابه لها.

وقد تباينت مصادر الكتاب التي استعملها السيد الشهيد و تنوّعت بين كتب التفسير, والقراءات القرآنية , والمعجمات, واللغة, وغيرها كثير.

الاحتمال في اللغة:

المعنى المحوري لمادة (حمل) هو حوز أو ضمَّ بإقلال رفعًا أو تعليقًا . (محمد جبل، ٢٠١٠,ج١ ص٥٠٤) , وقد ذكر الراغب إنَّ الحَملَ معنًى واحدٌ اعْتبر في أشياء كثيرة فسُوِّيَ بين لفظه في فعل وفُرق بين كثيرٌ منها في مصادرها, فقيل في الأثقال المحمولة في الظاهر كالشيء المحمول على الظهر (حِمْلٌ), وفي الأثقال المحمولة في الباطن (حَمْلٌ) كالولد في البطن , والماء في السحاب , والثمرة في الشجرة تشبيهًا بحمل المرأة. (الراغب، ٢٠١٠,ص١٨٥). وتحامل في الأمر, وبه تكلفه على مشقة وإعياء, وتحامل عليه كلفه ما لا يطيق. (ابن سيده، ٢٠٠٠,ج٣ ص٣٦٨).

الاحتمال في الاصطلاح:

إنّ المعنى الاصطلاحي للاحتمال الصرفي مشابه كثيرًا للمعنى اللغوي, ولا يخرج عنه غالبًا, ويمكن القول إنّ مفهوم الاحتمال في الاصطلاح يرجع إلى أصل اللفظ, وهو مصدر الاحتمال, ومعناه، جاء في كتاب المُطلع:((الاحتمال في الأصل مصدر احتمل الشيءَ, بمعنى حَملهُ, وهو افتعالٌ منه, ومعناه أنّ هذا الحكم المذكور, قابل ومتهيئٌ لأن يقال فيه بخلافه, كاحتمال قبول الشهادة بغير لفظ الشهادة , نحو: أعلمُ أو أتحقق, أو أجزمُ, فإنه قابل للقول فيه بذلك)). (البعليّ، ٢٠٠٣,ص١٣).

وذكر أبو البقاء إنَّ الاحتمال يُستعمل بمعنى الوهم فيكون لازمًا, ويُستعمل بمعنى الاقتضاء والتضمين, فيكون عندها متعديًا وذلك نحو: ((يحتمل أن يكون كذا)), أو احتمل الحال وجوهًا كثيرة. (الكفوي، ١٤٣١,ص٥٧).

وعُرّفَ أيضًا بأنه: ((اتّساع الأمر لقبول عدة وجوه من التأويل, ومنه قول الفقهاء: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال)). (أحمد مختار، ٢٠٠٨,ج١ ص٥٦٣).

ويقصد به كذلك الإمكان الذهني عندما لا يكون تصور الطرفين كافيًا, حيث يتردد الذهن البشري في النسبة بينهما. (أبو جيب، ١٩٨٨م, ص١٠٢).

وحاصل هذا كله أنّ الاحتمال والتخريج يكونا كذلك إذا فهم المعنى الآخر للفظ , وعندها يسقط الاستدلال القطعي للمعنى الأول ما لم توجد قرائن وبراهين تؤيده.

أسباب الاحتمال الصرفي: قبول الصيغة الصرفية لاحتمالين أو أكثر عدة أسباب نذكرمنها:

١- الاختلاف في اللغات واللهجات.

إنَّ الجانب المميز في اللغة طبيعتها الصوتية. فضلا عن وظيفتها الاجتماعية القائمة في التعبير ونقل الأفكار؛ لذلك نجد أنّ لكل مجتمع بعينه لغته الخاصة يتداولها أفراده فيما بينهم.

والأصل في تشعب اللغات تشعب الجماعات؛ فإنَّ اللغة بنت الاجتماع وهي ألفاظ في الحقيقة ملك السامع لا ملك المتكلم؛ لأنها ليس من جنس اللغو, ولكنها تلقى لدلالة خاصة يعينها الاصطلاح العرفي بين المتكلم والسامع, وهذا الاصطلاح عمل اجتماعي محض لا يتهيأ لفرد فيما بينه وبين ذات نفسه، وعليه فإنَّ الاختلاف في اللغات لا يتعلق بسرِّ اللوضع اللغوي؛ إذ هو إلهامٌ مخلوقٌ في فطرة الإنسان, ولكن اختلاف اللغات عمل صناعي تكيفه حالة الاجتماع كما تكيف سائر الأحوال من العادات وأمثالها؛ ولهذا كانت حقيقة معنى اللغة أنها مجموعة العادات الخاصة بطائفة من طوائف الاجتماع. (الرافعي، ٢٠٠٠,ج١ص٤٤).

وهذا الاختلاف في اللغة أو اللهجة بين أفراد المجتمعات بطبيعته سيؤدي إلى الاختلاف في الصيغ الصرفية, ويكون سببًا من أسباب زيادة الاحتمال الصرفي للمفردة الواحدة .

لذلك يُعدُّ تعريف اللغة اللفظي عند ابن جني من أدق التعريفات وأكثرها نضوجًا ووضوحًا في ذلك فقال: ((حد اللغة أصوات يعبر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم)). (ابن جني، ١٤٣١,ج١ص٣٤).

٢- الاختلاف في القراءات القرآنية:

تحمل القراءات القرآنية في طياتها وجوهًا مختلفة في الأداء من جميع النواحي الصرفية , والصوتية, والنحوية, ولها بالغ الأثر في زيادة الاحتمال الصرفي للفظة, ذلك لأنَّ سماع الأصوات جزء أساسي في تأدية اللغة لوظيفتها, ويترتب على التغيّر في الصوت تغيّر في المعنى.

ذكر الدكتور عبد الرزاق القادوسي إنّ الفونيم يكون أحيانًا صوتيًا (حركة) مصاحبًا للصوت الصامت, فيؤدي تغيره إلى تغير المعنى, وهذا هو الأصل, وعندها صار ثراء للمعجم من حيث اللفظ والمعنى , ويجسد ذلك القراءات القرانية, وأحياناً لا يغير المعنى, ويُحملُ على تعدد اللغات في الكلمة الواحدة, وعندها صار ضربًا من ضروب التيسير عند أهل اللغة من حيث توسعه في النطق وعدم اقتصاره على شكل معين. (القادوسي، ٢٠١٠,ص٣٠٧).

٣- الاختلاف في الجذر المعجمي للفظة:

إنّ الاختلاف في الجذر اللغوي للفظة أحد أهم الأسباب التي قادت إلى زيادة الاحتمال الصرفي للفظة الواحدة, لذلك نجد اهتمامًا كبيرًا من العلماء القدامى في معرفة جذور الكلمات, وما يؤول عليه أصل الكلمة من نتائج في المعنى,هذا لأنّ التفريق بين الكلمات ومعرفة معانيها قائم بالدرجة الأولى على أساس أن لكل لفظ معنى يخصه ويميزه عن غيره, وإمعان البحث في جذور الكلمات, واشتقاقاتها يضمن وجود فوارق بينها.

الاحتمالات الصرفية في كتاب منّة المنان:

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة الناس, وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الاحتمال الصرفي في اشتقاق الاسم. ويقع على احتمالين صرفيين:

الأول: الاشتقاق من (السمو) بمعنى الرفعة, أي من (سَمَا, يسمو) إذا علا وظهر, وهذا مذهب البصريين.

الثاني: الاشتقاق من (السمة) , بمعنى العلامة, أي من (وَسَمَ, يَسِمُ سِمةً), وهذا مذهب الكوفيين.

وقد ذكر السيد الشهيد الصدر في تفسيره للبسملة احتمالية أن يكون اشتقاق الاسم من السمة بمعنى العلامة وعلى ذلك يكون معنى البسملة بالدوال على الله تعالى التي هي الأسماء الحسنى, ويمكن أن يكون اشتقاقه من السمو بمعنى الرفعة, وعليه كانت البسملة تمسكاً بعلو الله وعظمته, وبسمو الرحمن الرحيم. (محمد الصدر، ١٤٢٥, ج١ص٤٨).

ورجّحَ السيد الشهيد الصدر الاحتمال الثاني, وهو (السمة) ؛ لأنه يرى أنه أكثر انفهامًا مع البسملة, ويمكن أن يكون الاحتمال الأول وارداً, كما ذهب إليه الكثير من علماء التفسير واللغة, إلّا إنَّ ترجيحه للاحتمال الثاني جاء بعدة أمور منها:

أولًا: أنّ الاسم مفرد الأسماء, وبسم الله يُجمع بأسماء الله. فهو من السمة لا السمو, لأنّ السمو لا يجمع على الأسماء؛ ولذا اتبع (الاسم) بالله الرحمن الرحيم. فلو ضُمّتْ إلى قوله تعالى : ﴿ئر

ﱿ ﲀ ﲁﲂ (الأعراف، ١٨٠) لظهر أن المراد بالاسم مفرد الأسماء ويكون الله الرحمن الرحيم مصاديق منه. يعني كونها مصاديق من الأسماء الحسنى المذكورة في الآية الأخرى.

ثانيًا: ان الاسم إذا كان بمعنى السمة كان لتفاصيل الأسماء الثلاثة مجال. فالله يُلحظ كاسم مستقل, وكذلك الرحمن والرحيم, فكل منها أهميته وسعته, أما إذا كان بمعنى (العظمة) أي بعلو الذات, سقطت تفاصيل هذه الأسماء الحسنى, ولم يكن لها شأن, وإنّما تشير إلى الذات فقط, فكان الاقتصار على واحد أولى. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص٤٨).

الثاني: من حيث إفراد الاسم في البسملة وجمعه, ويقع أيضًا على احتمالين صرفيين:

الأول : الإفراد وهو المشهور , وما يطابق الذوق, والسياق القراني في البسملة.

الثاني: احتمالية كون (الاسم) في البسملة (اسم جنس), وهو بمنزلة الجمع حينها. فهو يتضمن معنى الجمع دالًا على الجنس، وقد طرح السيد الشهيد الصدر سؤالًا عن ذكر الاسم في البسملة, ولماذا جاء بصيغة الإفراد ؟ وهي الصيغة المعروفة .

ومن خلال تتبعنا لإجوبة السيد الشهيد وجدنا دلالة احتمالية أخرى لمعنى الاسم , وهي كون المراد بالاسم: الجنس, أو اسم الجنس, وهو بمنزلة الجمع؛ لأنه متضمن لإفراده. فيكون بمعنى الأسماء. فيكون تعدادها تفصيلًا بعد إجمال ,غير أنّما يؤيد الاحتمال الأول وهو الإفراد قوله : ((إنَّ المراد من الاسم مدخوله المباشر , وهو لفظ الجلالة , أي بالسم الذي هو الله . فالاسم مفرد يراد به مدخول مفرد, أمّا الرحمن الرحيم , فهما صفتان للذات الإلهية لا ربط لهما بالاسم, وإنّما أضيفا بعد ورود لفظ الجلالة)). (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ص٤٩).

فضلًا عن كون السياق القرآني يتطلب ذلك؛ لأن عملية التحليل المكوناتي لمعنى الكلمة تتم من خلال تعيين مجموعة من الكلمات ذات الخصائص المشتركة أو المتباينة, ويتم بعد ذلك تحديد الملامح الدلالية لمعنى كل كلمة من هذه الكلمات من خلال استقراء مجموعة السياقات التي ترد فيها الكلمة. (كريم زكي، ٢٠٠٠, ج١ ص١٠٨).

المطلب الثاني: الاحتمال الصرفي بين مصدرية (الوسواس) ووصفيته:

فقد اختلف النحاة بين وصفية الوسواس ومصدريته, وذهبوا في ذلك على قولين:

الأول: يرى بأنَّ الوسواس مصدر , وحجتهم في ذلك إنَّ الفعل منه هو (فعلل), والوصف من (فعلل) إنّما يأتي به على (مفعلل), كما في قولهم : (مدحرج), و(مسيطر), فلو كان الوسواس كذلك لقيل فيه (موسوس).

قال ابن القيم: ((ألا ترى في أن اسم الفاعل من زلزل (مزلزل), واسم الفاعل من دكدك (مدكدك), وهو مطرد فدل على على أن الوسواس مصدر وصف به على وجه المبالغة, أو يكون على حذف مضاف إليه, (ذو الوسواس))). (ابن القيم، ١٤١٠,ص ٦٦٥).

الثاني: يرى بأنه (صفة), كالثرثار, وإنَّ صيغة (فعلال) مصدر (فعلل) حقها الكسر, والمفتوح منها شاذ.

وقد تطرق السيد الشهيد إلى الاحتمالين الصرفيين, وذهب إلى احتمالية مصدريته, لأنَّ المصدر قد يفتح وقد يُكسر, أو إنَّ (الوَسْوَاس) بالفتح ليسن معناه المصدرية, بل هو صيغة مبالغة من اسم الفاعل, أي الموسوس, وهو أقرب إلى الحدس , فلا يكون هناك اضطرارٌ إلى تقدير مضاف, أي: ذي الوسواس. كما ذكروا. فمعنى الوسواس الخناس: (الموسوس الخناس). (محمد الصدر، ١٤٢٥, ج١ ص٥٩).

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة الكوثر: ومطلب البحث فيه كان لفظة (الكوثر). وما يقع عليها من احتمالات صرفية.

فقد قيل في الكوثر إنّه اسم علم دال على شيء معين, وقيل فيه: إنّه صفة على وزن (فوعل) فعلى العلمية قالوا: إنَّ الكوثر علم على نهرٍ في الجنة, وعلى الوصفية قالوا: هو الخير الكثير. (المقدم، ١٤٣٢,ج٦ ص١٢٤).

وتذهب دلالة الاحتمال الصرفي عند السيد الشهيد الصدر أبعد من ذلك, فهو يرى أن الكوثر يمكن أن يكون بمعنى المصدر: وأن يكون بمعنى اسم المصدر. والفرق بينهما إنَّ المصدر عبارة عن المعنى في حال كونه ملحوظاً متحركًا ومستمرًا. واسم المصدر عبارة عن المعنى حال كونه ثابتًا قائمًا بنفسه. فالخير الكثير يمكن أن يلحظ ثابتًا مفهومًا, فيكون اسم مصدر, ويمكن أن نتصور له معنى مستمرًا, فيكون مصدرًا. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص١٤٦).

وعليه فإنَّ هذه اللفظة تقع على احتمالين صرفيين في رأي السيد الشهيد الصدر الأول هو المصدر, والآخر اسم المصدر. والفرق بينهما في الثبات والاستمرارية.

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة الماعون: وفيه مطلب واحدٌ وهو الاحتمال الصرفي في كلمة الماعون نفسها:

واشهر الاحتمالات الصرفية التي نجدها عند السيد الشهيد كانت في الأصل الاشتقاقي للفظة الماعون. وهذا ما سنتعرف عليه بعد معرفة ماذكره ذكره أرباب اللغة في أصل اللفظ و اشتقاقه, ووزنه الصرفي.

فقد ذكروا إنَّ الماعون: (فاعولٌ) مأخوذ من (المَعْن) وهو الشيء القليل أو اليسير, وردَ عن العرب قولهم: ((ماله مَعْنٌ)) , أي شيء قليل, وذكره قُطْرب. وقيل في أصله :(مَعُونةً) والألف هنا عوضٌ من هاء الكلمة... وقيل في أصله أيضًا: إنّه اسم مفعول (معوون) من أعان يُعينُ, جاء وزنه على صيغة (مفعول) ثُمَّ قُلبَ فصارت عينه بدلاً من من الفاء, فصار (مَوْعُون), بعدها قلبت الواو ألفاً فصار (ماعون), فوزنه على هذا (مَفْعُول) . (أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠٠,ج١٠ ص٥٥١).

وحكى الفراء عن بعض العرب:

الماعون الماء، فيكون على هذا مفعولا من العين، ويعلّ كما علّ من العون، أو يكون فاعولا، من معن الماء، إذا سال. وهو أيضا قول من اشتقه من قولهم: ممعن هربا، أو من قولهم: عين معين. (الشريشي، ٢٠٠٦,ج٣ص٧٧).

ويذكر السيد الشهيد الصدر ثلاث أطروحات في أصل الكلمة ؛ لأنه يرى أنَّ اللفظة أجنبية أو دخيلة أو مُلمعة بين العربي والأجنبي (الفارسي). والاطروحات أو الاحتمالات التي ذكرها هي كالآتي:

الأولى: (ما) موصولة و (عون) مصدر أو صفة مشبهة. بمعنى ما أعين به الآخرون. أو ما يكون عونًا للآخرين.

الثانية: (ما) المصدرية ويكون المحصل نفسه.

الثالثة: إنّه مُلمع من لغتين, فتكون (ما) فارسية بمعنى (نحن), فتكون بمعنى إعانتنا للآخرين. (محمد الصدر، ١٤٢٥, ج١ص١٦٦).

والأظهر في أصل الكلمة إنّها من العون, وهذه المفردة التي وردت في القرآن الكريم وإنْ لم تكن عربية في أصل وضعها اللغوي, إلا إنّها أصبحت عربية باستعمال العرب لها, وتداولها فيما بينهم, قبل عصر نزول القران وفيه, حتى استساغها اللسان العربي واستعملها قُبيل نزول القرآن.

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة الفيل. وفيه مطلبان, وكلاهما حول لفظة (أبابيل).

المطلب الأول: تناول فيه السيد الشهيد صيغة (أبابيل) من حيث احتمال أصلها الاشتقاقي.

ولو تتبعنا اللفظة عند علماء اللغة والتفسير نجدهم يتفقون جميعهم على أنَّ الأبابيل جماعات كثيرة يتبع بعضها بعضا، وقيل فيها إنَّها: أقاطيع كالإبل المؤبّلة، والأبابيل: جماعة في تفرقة، جمع لا واحد له, عند أبي عبيدة والفرّاء، ويقال: إنَّ واحدها أبول كما يقال: (عجول وعجاجيل) ، ويجوز أن يكون واحدها (إبيل)، كما في: (إكليل وأكاليل) . (الحداد، ٢٠٠٨,ج٦ص٥٦٢).

إذن فهم يرون أنَّ اسمها مشتق من (الإبل), أي أقاطيع يتبع بعضها البعض كالإبل المؤبلة.

وقد ناقش السيد الشهيد الصدر هذا الاحتمال من عدة وجوه:

الوجه الأول: إذا كان المطلب هكذا أمكن الاشتقاق منه : تأبل يتأبل, أي أصبح مثل الإبل. ولم يشتق منه العرب, فلا توجد صلة اشتقاقية ين الإبل والإبابيل.

الوجه الثاني: إنه لفظ خماسي أو سداسي, ولا يمكن الاشتقاق منه. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ص١٨٢).

بقي لدينا أن نعرف الاحتمالات الخمس التي ذكرها السيد الشهيد في أصل اللفظة, وهذ الاحتمالات هي:

الأول: أن تكون الكلمة معرّفة أو منقولة من لغة أخرى.

الثاني: أن تكون الكلمة نحتًا فوريًا أو شخصيًا غير مستند إلى اللغة.

الثالث: إنه اسم عرفي لنوع من الطير (العصافير) مسّمى بذلك.

الرابع: ان اسمها مأخوذ من صوتها الممدود (بيل), فيكون إبابيل تعبيرًا عن مقطعين من صوتها.

الخامس: المراد بكلمة (بيل) المسحاة, وقد كان منقار هذا الطير عريضًا كالمسحاة, فسميت (أبابيل) , أي ذات المسحاة. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص١٨٢).

المطلب الثاني: من حيث كون لفظة (أبابيل) مفردًا أو جمعًا.

أمّا من حيث إفرادها وجمعها فالاحتمال الأظهر والذي ذهب إليه أكثر علماء اللغة والتفسير هو إنها بصيغة الجمع؛ لأنها تحمل معنى الجماعات المتفرقة, وعندها يكون (طير) اسم جنس يُذكر ويُؤنث و(أبابيل) نعت له؛ لأنه اسم جمع.

والاحتمال الآخر في رأي السيد الشهيد الصدر أن يكون طير وإبابيل متماثلين في الإفراد؛ لأن أبابيل اسم لكل فرد من هذه الطيور, وكلاهما – أي طير وإبابيل– اسم جنس. لذا قال تَرْمِيهم, ولم يقل يرمونهم. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص١٨٣).

ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ السيد الشهيد الصدر عند تطرقه لشرح ألفاظ سورة الفيل أشار إلى لفظة (سجّين) وهو اللفظ المشابه للفظ (سجّيل).

وقد زعم أهل اللغة أن سِجّينَ فِعّيل من السجْنِ، والمعنى: كتابهم في حبس، جعل ذلك دَلالة على خساسة مَنْزِلَتِهِمْ. (الزجاج، ١٩٨٨,ج٥ ص٢٩٨).

وذكر الراغب إنَّ السجين اسم لجهنم بإزاء علييّن, وزيد لفظه تنبيهًا على زيادة معناه, وقيل: هو اسم للأرض السابعة. (الراغب، ٢٠١٠,ص٣١٤).

وفي نظر السيد الشهيد الصدر إمكانية خروج اللفظ عن المكانية, (ويكون (سجيّن) صيغة مبالغة من (سَجَن), فالسِّجن (بالكسر) هو المكان, أمّا السجين بالتخفيف مكينه أي المسجون فيه, والسجَّين التشديد صيغة مبالغة, اعتبار أن السجن له مراتب تختلف شدة وضعفًا, والصع منه سجيّن, أي شديد السجن)). (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص١٩١).

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة الهمزة: ومطلب البحث فيه حول لفظتي (الهمزة واللمزة) ويقع الاحتمال الصرفي عليهما من حيث كونه اما مفردًا أو جمعًا.

فيرى السيد الشهيد أنّ كليهما محتمل.((فإن كانت جمعًا, فعلامة التأنيث التي فيه باعتبار أن الجمع مناسب مع التأنيث في اللغة العربية, إلّا أنه يدل على إفراده الاسم الموصول الذي بعده, ويجعله كالنص في ذلك)). (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص٢٠٠).

وهذه الصيغة في ذاتها تدل على الكثرة؛ لأنَّ بناء (فُعلة) تأتي دلالته للتكثير والمبالغة في الفعل, حتى يصبح له الفعل عادة مستمرة, وتدخلها الهاء للمبالغة, فلا يُقال: (ضُحَكة) إلا لمن كثر ضحكه. ولا يقال: (أُكَلة) إلا للذي يأكل كثيرًا.

أقول: وقد تكون دلالتهما على الإفراد باعتبار سبب نزولها ؛ لأن أغلب الروايات تذهب على أنّها نزلت في شخص من بني ثقيف يسمى الأخْنس بن شريق, وقيل: في غيره, قال ابن اسحاق: ((مازلنا نسمع أنّ سورة الهمزة نزلت في أميّة بن خلف. وقال مجاهد: هي عامة في حق كلِّ من هذه صفته)). (النجدي، ١٩٩٦, ج٤ص٥٢٧).

وعليه يكون إعادة الضمير في قوله تعالى: ﴿ تي ثر ثز﴾ (الهمزة، ٨) بصيغة الجمع مع أن المرجح هو الإفراد , وذلك باعتبار المعنى.

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة القارعة: ومطلب البحث فيه لفظة (راضية).

قال تعالى: ﴿ قى قي كا كل ﴾ (القارعة، ٧). ويقع على هذه اللفظة احتمالان صرفيان:

الأول: إنّها اسم فاعل بمعنى المفعول.

الثاني: دلالتها على الفاعلية.

أما كونها اسم فاعل بمعنى المفعول فهذا أكثر ما ذهب إليه علماء اللغة والتفسير, ومجيء الفاعل بمعنى المفعول وإنْ كان قليلاً إلا إنّه وارد في اللغة.

قال السيد الشهيد الصدر: ((والمراد عيشة مرضية لصاحبها, من قبيل استعمال اسم الفاعل بمعنى المفعول مجازاً, وهو موجود في اللغة. أو هي عيشة مرضية لله عزَّ وجلَّ أمّا في الدنيا باعتبار أنّه يريد لنا الطاعات, وأمّا في الجنة باعتبار أنه سبحانه يريد لنا دخول الجنة)). (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ص٢٧٦).

وفي دلالتها على الفاعلية (اسم فاعل) فإنه يرى حسب فهي إنّها من باب النسبة, أي ذات رضى. والمراد (عائش راضي) , فأسند الرضا ونسبه إلى العيشة مع أنَّ الراضي هو صاحب العيشة, إذ يرضى على عيشته.

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة العاديات: ومطلب البحث فيه لفظة (شهيد).

وهي من الألفاظ التي وقف عليها السيد الشهيد ونالت حظًا من فكره الصرفي , وجاءت اللفظة في قوله تعالى: ﴿ مح مخ مم مى﴾ (العاديات، ٧). وهي كسابقتها وقعت على احتمالين صرفيين.

الأول: وهو المشهور في دلالتها على الفاعلية (اسم فاعل).

والثاني: في دلالتها على المفعولية (اسم مفعول).

وقد ورد كلا الاحتمالين في ذهن السيد الشهيد الصدر فعلى الاحتمال الأول وهو ماذهب إليه أكثر علماء التفسير يكون المعنى إنَّ الإنسان على كونه كنوداً من الجاحدين, فسيشهد على نفسه بالجحد والكفران, ويتضمن اللفظ معنى قوله تعالى: ﴿غم فج فح فخ فم﴾ (القيامة، ١٤), أو قوله تعالى : ﴿ين يى يي ئج ئح ئخ ئم﴾ (يس، ٦٥) , فيكون شهيدًا على نفسه بجميع جوارحه , وعليه ستكون عودة الضمير في (إنّه) على الإنسان نفسه.

قال ابن كثير: ((ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان, وهو المتبادر إلى الذهن, ويؤيده سياق الضمائر)). (النجدي، ١٩٩٦,ج٤ص٥٢٢).

أمّا الاحتمال الثاني (مفعول) فيذكره السيد الشهيد كأطروحة قابلة للصحة. وهو أن يكون الشهيد بمعنى المقتول في سبيل الله. أمّا حقيقة: أي في حرب جهادية صحيحة. أو لقتله الشهوات والنزوات في نفسه. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص٣٠٥).

● ما ورد من احتمال صرفي في سورة الزلزلة: ومحور حديث البحث فيه ومطلبه لفظة (أشتات) في احتمالية كونها جمعًا أو مفرداً.

فالمتفق عليه عند أهل اللغة إنَّ أشتاتًا جمع بمعنى متفرقين, واحدهم (شَتٌّ). قال الراغب: ((الشَّتُّ تفريقُ الشِّعب, يُقال شَتَّ جمُعهُم شَتّاً وشَتَاتَاً, وجاؤوا أشتاتًا أي متفرقي النظام)) (الراغب، ٢٠١٠,ص٣٥٥).

ولكن هل هناك احتمالية كون الكلمة مفردًا وليس جمعًا؟ وهذا ما ناقشه السيد الشهيد الصدر من خلال طرحه لأكثر من أطروحة تصلح أن تكون جوابًا لهذا السؤال. وأهم هذه الأطروحات التي طرحها هي:

أولًا: إنّه مفرد بمنزلة الصفة المشبهة.

ثانيًا: إنّه بمنزلة اسم الفعل يعطي معنى التفرق.

ثالثًا: إنّه مفرد لا جمع له.

رابعًا: إنّه جمع لا مفرد له.

خامسًا: إنّه مفرد يُراد به الجمع, أو هو مفرد لفظًا جمع معنى. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص٣٣٤-٣٣٥).

● ما ورد من احتمال صرفي في سورة البينة: ومحور حديث الاحتمال الصرفي عند السيد الشهيد الصدر في هذه السورة أنصب حول كلمة (مخلصين), في قوله تعالى: ﴿ ﴾ (البينة، ٥).

حيث ورد اللفظ في القرآن الكريم مكسورًا ومفتوحًا, كما في بعض القراءات القرانية. (الخطيب، ٢٠٠٢,ج٨ ص٢٠٧).

فعلى الكسر يكون على أنّه اسم فاعل من أخلص يُخلص فهو (مُخلِص) وعلى الفتح يكون بمعنى اسم مفعول, من أخلص يُخلص فهو (مُخلَص), وهذا الأمر جُعلَ اللفظ على احتمالين صرفيين, تناولهما السيد الشهيد الصدر بالتفصيل.

إذن فالاختلاف في دلالة اللفظة المذكورة جاء من حيث مصدر اشتاقها من فعلهما الرباعي المزيد (أخلص).. وكما قلنا إنَّ اسم الفاعل من الرباعي يُشتق بقلب حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قل آخره, أمّا اسم المفعول فيشتق بقلب مضارعه ميماً مضمومة وفتح ما قبل آخره. ويرى السيد الشهيد الصدر أنَّ الإخلاص بالفتح أقرب منه بالكسر على اعتبار أنَّ الفعل (أخلصَ) رباعي متعدٍّ إلى مفعول به, فينظر به جانب المفعولية أكثر من الفاعلية, ثُمَّ قال: ((لكن العرف لا يفهم ذلك, فقد أصبح المخلص بالكسر صفة للمتصف بالإخلاص, كما أصبح لازماً, مع إنّه في أصل اللغة ينبغي أن يكون متعديًا)). (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص٣٦٣)

ويكون المعنى ((أنّه جاعل فيك الإخلاص, كما لو سلك سلوكًا بحيث جعلك توده وتخلص له, فهو مخلص لك أي مخلصك من الشوب الذي كان عندك تجاهه. ثم نقل بشكل مجازي. فبدلًا من أن يكون لقبًا للفاعل أصح لقبًا للمفعول به)). (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ ص٣٦٣).

- ما ورد من احتمال صرفي في سورة القدر: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحديث عن الروح في قوله: تعالى: ﴿ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا﴾ (القدر، ٤) والأوجه الممكنة في احتمالية إفراد الكلمة أو جمعها.المطلب الثاني: احتمالية كون (الأمر) مفرد أوامر أو كونه مفرد أمور.أمّا الحديث عن المطلب الأول فجاء في رده عن الإشكال الحاصل في كون لفظة الملائكة جمعًا والروح مفردة, والاحتمالات الممكنة التي طرحها السيد الشهيد الصدر في ذلك هي:

أولًا: المراد بالروح الجنس, وهو بمعنى الجمع, يعني تتنزل الملائكة والأرواح, فألاول جمع نحويًا, والثاني جمع معنويًا.

الثاني: أن يلحظ الفرد فقط, ولكل فرد روح واحدة, وهذا اللحاظ غير موجود في الملائكة...أو أن الروح واحدة لا تتعدد, فلا بدَّ من التعبير عنها بالمفرد. (محمد الصدر، ١٤٢٥.ج١ص٤٠٤).

والاحتمال الثاني في نسبة الأمر للأوامر أو الأمور فذكر فيهما احتمالين صرفيين, الأول هو مفرد أوامر, وهو بمعنى الطلب, وهو المعنى المشهور للمفسرين, والثاني أن يكون المراد هو مفرد أمور أي أشياء, فيكون المعنى بإذن ربهم من كل شيء. (محمد الصدر، ١٤٢٥,ج١ص٤٠٦-٤٠٧).

الخاتمة ونتائج البحث:

١- كان للسيد الشهيد محمد الصدر وقفةٌ دقيقة على ألفاظ القرآن الكريم, وتحليلها وبيان دلالاتها من خلال الاحتمالات الصرفية لصيغها.

٢- جاء السيد الشهيد محمد الصدر بالعديد من الاحتمالات الصرفية الجديدة للفظة الواحدة التي لم تُطرق سابقًا, ورفد بها المكتبة الدينية واللغوية.

٣- استخدم السيد الشهيد الصدر في كتابه (منّة المنان) أسلوب الطرح (الأطروحة), أي الاحتمال المسقط للاستدلال.

٤- تناول السيد الشهيد محمد الصدر في تحليله الصرفي للفظة الواحدة عدة احتمالات, قد تصل إلى خمس أو أربعة فلا يكتفي باحتمال أو احتمالين. أحيانًا.

٥- للقراءات القرانية , ولأصحاب المعجمات الفضل الكبير , والأثر البالغ في زيادة الاحتمالات الصرفية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن القيم, محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ), تحيقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية الإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان,ط١, ١٤١٠, دار ومكتبة الهلال, بيروت.
- ابن جني, أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ), الخصائص, تحقيق: محمد علي النجار, ط٤, المكتبة العلمية.
- ابن سيده, أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ) , المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, ط١, ٢٠٠٠, دار الكتب العلمية , بيروت.
- أبو جيب سعدي, القاموس الفقهي, ط٢, ١٩٨٨, دار الفكر, دمشق, سورية.
- أبو حيان الأندلسي, محمد بن يوسف (٧٥٤هـ), البحر المحيط في التفسير,ط١, ٢٠٠٠, دار الفكر, بيروت.
- أحمد مختار عمر (١٤٢٤هـ), معجم اللغة العربية المعاصر, ط١, ٢٠٠٨, عالم الكتب.
- البعلي, شمس الدين محمد بن أبي الفتح (٧٠٩هـ), المُطلع على ألفاظ المُقنع, تحقيق:محمود الأرناؤوط, وياسين الخطيب, ط١, ٢٠٠٣, مكتبة السوادي للتوزيع, المملكة العربية السعودية.
- الحداد, أبو بكر اليمني الطبراني (٨٠٠هـ), كشف التنزيل في تحقيق الماحث والتأويل, تحقيق: هشام الموصلي,ط١, ٢٠٠٨, دار الكتاب الثقافي, الأردن , بيروت.
- الخطيب, عبد اللطيف, معجم القراءات , ط١, ٢٠٠٠, دار سعد الدين, دمشق.
- الراغب, أبو الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني, مفردات ألفاظ القرآن الكريم, تحقيق: صفوان عدنان الداودي ,ط١, ٢٠١٠م, بيروت لبنان.
- الرافعي, مصطفى صادق بن عبد الرزاق(١٣٥٦هـ), تاريخ آداب العرب, ط١, دار الكتاب العربي.
- الزجاج, أبو إسحاق إراهيم بن سري (٣١١هـ), معاني القرآن وإعرابه, تحقيق: عبد الجليل عبده الشلبي, ط١, ١٩٨٨, عالم الكتب , بيروت.
- الشريشي, أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن (٦١٩هـ) شرح مقامات الحريري,ط٢, ٢٠٠٦, دار الكتب , بيروت.

- الصدر, محمد محمد صادق مهدي إسماعيل صدر الدين الموسوي (١٤١٩هـ), منّة المنان في الدفاع عن القرآن, ط١, ١٤٢٥هـ. الناشر طليعة النور, المطبعة الفيضية.
- القادوسي, عبد الرزاق بن حمودة, أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجًا, ط١, ٢٠١٠.
- الكفوي, أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني (١٠٩٤هـ), الكليات, تحقيق: عدنان درويش, ومحمد المصري. ط١,مؤسسة الرسالة , بيروت.
- النجدي, فيصل بن عبد العزيز,توفيق الرحمن في دروس القرآن, تحقيق: عبد العزيز بن عبدالله, ط١, ١٩٩٦, دار العاصمة, السعودية.
- كريم زكي, التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه), ط١, ٢٠٠٢م, دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد حسن جبل, المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم, ط١, ٢٠١٠م, مكتبة الآداب, القاهرة.